امرأةٌ ليستْ كالنساء

علي الأعرجي

الكتاب : امرأةٌ ليستْ كالنساء (شعر)

المؤلف : علي الأعرجي

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٩

رقم الإيداع : ١٩٥١ / ٢٠١٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 467 - 4

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٢٧٢٣٨٠٠٤ (٠٢) ، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أَوْ نسخ أَوْ تصوير أَوْ تسجيل

أي جزء من هَذَا الكتاب بأي وسيلة كانت

إلا بعد الحصول عَلى موافقة كتابية من الناشر

امرأةٌ ليستْ كالنساء

شعر

علي الأعرجي

أنتِ وحدكِ

من تعرف

أن كل شيء جميل

كتبتُه هنا

لكِ

أنتِ وحدكِ

معاناةٌ في كلِّ يومْ

الورَقةُ البيضاءْ
تقتلُني كلَّ صباحْ
ظِلِّي... الذي يلاحقُني
يقتلُني كلَّ صباحْ
عناوينُ الكتبِ المخادعةُ التي تحاصِرُني
تقتلُني كلَّ صباحْ
الليلُ... الذي هربَ مني وتركَ بقاياهُ على الشُّرفاتْ
يقتلُني كلَّ صباحْ

قبورُ أهلي الذين أورثوني أحلامَهمْ

تقتلُني كلَّ صباحْ

مدينتي... التي لا تعرفُ كيفَ تصلّي صلاةَ الصبحْ

تقتلُني كلَّ صباحْ

الخبزُ... لأطفالي النائمينْ

يقتلُني كلَّ صباحْ

أخبارُ الموتِ الذي صارَ حياتَنا

تقتلُني كلَّ صباحْ

هل كُتِبَ عليَّ أَنْ أموتَ كلَّ صباحْ؟

أيُّها الصباحُ... لو سمحتْ... تعالَ في يومٍ آخرْ

فأنا... لستُ مستعدًا لكَ... هذا الصباحْ.

شروطٌ مُسَيّقة

حتى تُحبِّيني
عليكِ أولاً
أنْ تتسلَّقي
فوقَ جُنوني
وعليكِ أنْ تنسي كلَّ اللغاتْ
وتتعلمينَ
لُغةَ عيوني
وتُعطيني اسمًا جديدًا
ليسَ منْ حروفِ الجنةِ أو النارْ

ولا من حروفِ التينِ أو الزيتونِ

* * * *

أُريدُكِ

قاهرةً... طاغيةً

لو قَبَّلتُكِ قُبلةً باردةً

لنْ تُسامحيني

فأنا أريدُ مَنْ تملِكُ ثغرًا

يحرقُ الأرضَ والسماءْ

كفوَّهاتِ البراكينِ

* * * *

أريُدكِ شهرزادي

ولكني أختلف عن شهريارَ

فأنا منَ أريدُكِ كلَّ ليلةٍ... تقتليني

* * * *

في ليلِ الشتاءْ

حين يلفُّ البردُ والضَّبابُ الأشياءْ

هل تعرفينَ؟

كيف تمشينَ معي... ليلاً

تحت المطرْ

في الشوارعِ الفارغةْ

ولا تبردينْ

وتَبتَسمُ عيناكِ

وأنتِ تَنظرينَ إلى السماءْ

وتراقبينَ

أضواءَ السياراتْ

على الشُّرفاتْ

على الطُّرُقاتْ

وعلى لَمعانِ جبيني

* * * *

عليكِ أنْ تعلميني

كيف أسترِقُ إليكِ النظراتْ

وأنتِ حولي تدورينْ

وتحكينَ لي عن يومِكِ الحكاياتْ

ومن الكلاَّمِ تتعبينْ

ترمينَ جسدَكِ على صدري

وتناميْنْ

* * * *

هلّ تُجيدينَ

بيديكِ هاتينِ

أنْ تعملي... ربطةَ عُنُقي

وتَحسُّ رَقبتي

أنفاسَكِ... ويديكِ المحتالتينْ

* * * *

عليكِ أنْ تتعلمي

كيف تمشينَ حافيةً

على رُخامِ الغرفةِ الأبيضْ

بقدميكِ الرطبتينِ

ولا تبردينْ

* * * *

عليكِ أنْ تكوني أسعدَ النساءْ

فأنا لا أعرفُ كيفَ أُحِبُّ التُّعساءْ

* * * *

عليكِ عِندَ كُلَّ صباحْ

يا حبيبتي

أنْ تَلتقطي الشمسَ

بشفتيكِ الورديّة

ثُمَّ تضعينها على شَفتَيَّ

وعليكِ عِندَ كلِّ صباحْ

أنْ تُطعميني

معَ مُربىَّ التوتِ

أصابعَكِ العاجيّة

* * * *

عليكِ أنْ تحفظي مواعيدَ الصلواتْ

فمن دونِ حُبِّكِ... وصلاتي

ليسَ هناكَ معنى لحياتي

* * * *

هَل خِفتِ مِنْ كُلِّ هذا؟

لا... أرجوكِ

لا تخافي مني

حقًا... تخافينْ!!

أنا أعلمُ أنّكِ تعرفينَ... كُلَّ هذه الأشياءْ

لكنّكِ

أنتِ

لا تعلمينْ.

رجاء و علاء

في ليلةٍ
من أخرِ ليالي الشتاءْ
باردةٍ جميلة
تَعِبتْ رَجاءْ
وأخيراً انتهى يومُها
وبعد أنْ صلَّتْ العِشاءْ
أنهَتْ تَسبيحَها
لَمْلَمَتْ سَجادةَ الصَّلاة
وشالَها الثلجيَّ الأبيضْ
بشيءٍ منَ العناءْ

وبقيَ عليها من الشالِ

نورُهُ... والبياضُ... والبهاءْ

* * * *

فَتَحَتْ شباكَ الغرفة

وقالتْ :

أرجوكَ يا علاءْ

لا تُغلقِ الشُّباك

فصدري يضيقُ عندَ المساءْ

أرجوك... أنا أعلمُ إنكَ مريضْ

لكني أريدُ بعضَ الهواءْ

* * * *

قال لها : لا بأسْ

نامتْ على صدرِهِ

قالتْ له : وكانتْ خائفةً عليه من هَمسِها

هل تعرفُ يا علاء؟

يومي كم هو مليءٌ بالأَعباءْ

بيتُنا... قديمٌ... صغيرْ

ألا يَحقُّ لَنا بيتٌ واسعُ الأرجاءْ

أرتاحُ فيه بهناءْ

وحديقةٌ جميلةٌ... وفناءْ

يلعبُ بها أطفالُنا

حبيبي سامحني

لكن... من تَعَبي... أضحكُ

ضَحِكًا كالبُكاءْ

أَتَذْكُر يا علاء؟

في بدايةِ حبِّنا

قلتَ لي إنكَ... ستُهديني السَّماء

* * * *

نامتْ... ولَم ينمْ علاء

أرسلَ شعرَها الأسودْ

على الوسادةِ البيضاءْ

* * * *

ذهبَ وترجَّى القمرْ

وقَّبلَ أيديَ النجومْ

نجمةً... نجمةْ

قالوا لهُ : ها أنتَ مرةً أخرى؟

نعمْ... إنه أنا

قالَ علاء

وتعرفونَ ماذا أُريد

فحبيبتي تعِبة

ولا يُريحُ تَعَبَها في الليل... إلا إذا غطَّتْها السَّماءْ

وقالوا له : لا تنسَ أنْ تُرجِعَ السَّماءَ قبلَ الفجر

من غيرِ السَّماءِ... الشمسُ تتيه

والعصافيرُ... لا تعرفُ الغِناءْ

أَعْطَوهُ ما أراد

وغطَّى علاءُ حبيبتَه

* * * *

تأخَّرَ في نومِهِ علاء

مرَّتْ على جبهتِهِ

يدٌ سمراءْ

أيقظَتْه حبيبتُه

بهدوءٍ وصفاء

صباحُ الخيرِ... حبيبي

هيا أيها الكسلانْ

تأخرْتَ عن العملْ

قمّ يا كلَّ العمرِ

يا أرقَّ حبيبْ

ويا أروعَ الآباءْ

فتحَ عينَه علاء

لم يكنْ تعِبًا
وكان حولَه كلُّ نورِ الدنيا
فابتسامةُ حبيبتِهِ هي الضِّياء

* * * *

على بابِ الدار
ومن بينِ أوراقِ الزيتونِ الخضراء
تسلَّلَ ضوءُ الشمس
على وجهِها الجميل
وقالتْ لَهُ رَجاءْ :
لا تتأخرْ حبيبي عَنْ بيتِكَ
فبيدي سأَعملُ لكَ
أطيب طعامٍ على الغداءْ.

مساكين

مساكينُ هؤلاءُ البشرْ

لأنَّهم لم يعرفوكِ

مساكينُ هؤلاءُ البشرْ

لأنَّهم لم يروا عينَيكِ عن قُرب

لأنّهمْ لم يسمَعوا صوتَكِ همسًا... مثلي

لأنهم لم يُدفِّئوا أصابعَكِ الباردة

مساكين... لأنَّهمْ لم يشربوا القهوةَ معكِ

ويناقشوا معَكِ أخرَ الأخبار

لم يُعلِّقوا مثلي معطفَكِ الأسود

ويسمعوا تنَهداتِكِ

وأنفاسَكِ الناعمة

وأنتِ نائمة

مساكين

لأنَّهم ظنّوا أنكِ امرأةٌ عاديّة

وضحكتَكِ عاديّة

ودموعَكِ عاديّة

مساكين

لأنهم عاشوا وماتوا من غيرِ وطنْ

وأنا عُشْتُ... بأجملِ وطنْ

تستطيعينَ الرَّحيل

متى شِئْتِ

فأنا لستُ مسكينًا

لأني أعلمُ

أنَّكِ دخلتِ حياتي

وأنت لستِ امرأةً عاديَّة

وخرجْتِ من حياتي

وأنتِ لستِ امرأةً عاديَّة.

لابدَّ أنَّ هناكَ... أنتِ

أنا أعلمُ أنَّ هناكَ... ولابدَّ أنَّ هناكَ
ومن بينِ كلِّ نساءِ العالم
هناكَ واحدةٌ... تعلمُ أنيّ أنا الرَّجلْ
تعلَمُ أني أنا... الرَّجلُ الأوحدْ

* * * *

لا تنامُ... إلاّ على قصائدي
ولا تفيقُ... إلاّ على أصابعي

* * * *

في بدايةِ كلِّ عامٍ
تبيعُ جدائِلَها
لتشتريَ لي أوراقًا وأقلامًا

* * * *

خلقَها اللهُ منذُ ألفِ عام
كانت تنتظرُني أُوْلَدُ... كي تموتَ بِراحة

* * * *

تنتظرُني أموتُ... كي تُحبَّني أكثر
تتمناني أموتُ... كي تَلُفَّني بشعرِها الأشقر

* * * *

لو شاءتْ... قتلتْني

بوسادةٍ ورديَّة

أو ضحكةٍ عربيَّة

أو ابتسامتِها الأبديَّة

* * * *

جعلتْني مَلِكًا

بلا جواري

وفقيهًا بلا حواري

* * * *

لها عينانِ... طَلَبْتُهما من مصباحِ علاءِ الدينْ

وشفتانِ... سقطتا من غصنٍ للياسمين

* * * *

حبيبتي ثورةٌ... لا يُخمدُها إلاّ أنا

بجنودي و سطوتي

بجيادي وقوَّتي

* * * *

تنسى كلَّ شيء... إنْ ذَكَرَتْني

وتكرَهُ كلَّ شيء... إنْ أحبَّتْني

* * * *

كلَّ صباحٍ... تَرضَعُ ملوحةً أصابعي

قهوتُها... رِضابُ شفتي

* * * *

هيَ... مَن سيكتبُ سيرتي

هيَ... مَن يعرفُ قصتي

* * * *

ساعدتْ أمي...عند الولادة

وهيَ منْ علَّمتني بهمسٍ... طقوسَ العبادةْ

* * * *

لابد أنّ هناكَ... أنتِ

ولا كنتُ أنا... إنْ أنتِ ما كنتِ.

اِمرأةٌ ليستْ كالنساءْ

إنما أنا

طفلٌ صغيرْ

حينَ أرى عينيكِ

أحبو وأسقط... فوقَ سجادةِ شعرِكِ الأسودْ

* * * *

كرةٌ من نارٍ... أنا

دخلْتُ عالمَكِ

تلقفيني بيديكِ... كي أبرُدْ

* * * *

وابني لي مِحرابًا للحبْ

فأنتِ

وحدَكِ... أنتِ

مَنْ تَعرفُ

كيفَ تبني... هذا المحرابْ

وعطّريه بأنفاسكِ... كلَّ يومٍ

لكنْ بربِّكِ أحرسِيه

من كلَّ النساءْ

بِعينيكِ

والأهدابْ

* * * *

فأنا

لا أشبعُ... حتى أَشمَّ رائحةَ مِعصمَيكِ

لا أنامُ مِنْ خَوفي

حتى تُنيرينَ غرفتي بنورِ أصابعِكِ

* * * *

أنتِ... ستبقينَ أنتِ

قهوتي التركيّة

وسيجارتي الكوبيّة

وعباءتي العربيّة

أنتِ... يا مَنْ تُعلِّميني الرجولةَ كلَّ يومٍ

وأنتِ لا زلتِ بإصرار... طفلةً وحشيّة

* * * *

أنتِ

هَمْسٌ لِروحي الخائفةْ

أنتظرُهُ... منذُ الأزلْ

وصارَ قدري

أجملَ الأقدار

علمتِني

أنَّ الأنوثةَ

عاصفةٌ

من رمالِ الدرِّ الأحمرْ... تَلُفُّني

كلَّماتٌ وأسرارْ

تُبلِّلُني كالأمطارْ

امرأةٌ... أنتِ

كالوردِ والرَّعدِ

غريبةٌ... تحتضنُ طفولتي كالمهدِ

تأتي مع الفجرِ

فوقَ حصانٍ مُجنَّحٍ... مجنونْ

وتَلُفُّ قوامَها

بعباءةٍ قرمزية

امرأةٌ من بحرٍ أنتِ

جَسَدُها الحرية

* * * *

امرأةٌ... أنتِ

أنامُ على صدرِها ألْفَ عام

وأحلمُ أنيّ راهبُ الحبِّ الأوحد

تقدسُني آلافُ النساء

وأنَّ صدرَها هو المعبد.

في موعدنا الأول

تكلَّمتْ كثيراً

وسَرقتْ... من حوليَ المساءْ

* * * *

وبعدَ أنْ أتعبتْ عيني بين

شفتيها

وقهوتِها

رقبَتها... التي لا ظلَّ لها

البيضاء

أو... لا أعلمْ... ربما... السمراء

رقبَتُها... التي أحرقتْ بجمالِها عِقَدها

وخِفتُ منهُ على قميصِها الأبيضْ

شعرُها المنسدلْ... كطرقِ السماءْ

يداها

بريقُ عينيها

أظافُرها الوحشيّةُ اللامعةُ بالضياء

* * * *

قالت :

"كما ترى... أنا أُحبُّ هكذا الرجال

وأنتَ... قل لي ماذا تُحِبُّ في النساء؟"

* * * *

كيف تجرأتِ عليَّ؟

فأنا... أنا

هلْ تظنين أني رجلٌ مثلُ باقي الرجالْ؟

ومنْ قال؟... إنكِ أنتِ

مثلُ باقي النساءْ

* * * *

ويحَكِ... كيفَ سألتِ هذا السؤال؟

وأنتِ أحلْتِ رمادًا... كلَّ بناتِ حوّاء.

سألتُ مدينتي

أخيراً

مِن همّي وغمّي

ضاقَ صدري

وكأَنّي عِشتُ ألفَ عامٍ

في أربعينَ سنةٍ من عمري

نفذَ والحمدُ لله... صبري

فتركتُ أوهامي

ولأوّلِ مرةٍ

تجرأتْ آلامي

فسألتُ مدينتي

لماذا أنتِ؟

جميلةٌ جدًا

فقط

عند الغروبْ

وفي أحلامي

وغربتي

وفي الطفولة

* * * *

يا مدينتي

بربكِ... هل رأيتِ المُدنَ الباقيات؟

كم هنَّ جميلاتْ

كأنهنَّ حوريّاتْ

تَحضِنُهُنَّ شواطئُ البحار

والخُضرةُ والأنهار

وأنتِ

ربما لم يبقَ في الدنيا

سواكِ أنتِ

بيوتُكِ كأنَّها قبور

لا تعرفُ السّرور

لا تعرفُ أيَّ شيء

غيرَ أنْ تَنتَظرَ وبسلام

يومَ الآخرة

* * * *

لماذا أنتِ عظيمةٌ فقط؟

في كتبِ التاريخ

وخضراءُ فقطْ

في كتبِ الجغرافيا؟

* * * *

لا تخدعينا بالفراشاتِ والطيورْ

وجمالكِ وربيعُكِ والزهورْ

نسمعُ عنها كلَّ يومٍ

فقطْ... في أناشيدِ أطفالِ المدارسْ

وعندما يكبرونْ

لا يعلمونْ

عن أيِّ مدينةٍ كانوا يتحدثونْ

* * * *

يا مدينتي... يا حبيبتي... لا تَبقي صامتة

فقالت :

ماذا أقول؟!

وما الفائدة؟

أكذبُ... إن كذَّبتُ ما تقول

أعرفُ... ومن زمانٍ... كلَّ الذي تقول

لكنْ يا عزيزي

لا تلُمْني

أنتَ وإخوتُكَ... بِصَمتِكَ عن كلَّ هذا

أنتَ المسؤول.

آدم وحواء

عندَ البداية...

ظنَّ أنَّه عرَفَها

فاختارَها

وبغرورٍ وغباءْ

عـلَّمَها كلَّ الأسماءْ

فانتَشَتْ أنوثتُها

ولَبِستْ قلادةً من وردٍ وجمرْ

وجَثَتْ على صدرِهِ

وبكلِّ رِقَّةٍ سَلَبتْ من عينيهِ الكبرياءْ

علَّمَتْهُ

كيفَ يُشعلُ النارْ

وكيفَ يَقْتُلْ

وكيفَ يغار

وهي مَنْ علَّمتْهُ

حينَ قَبّلَتْ شفتيه أوّلَ مرةٍ

كلَّ اللغاتِ والأشعارْ

لكنْ عنها... لم تكشِفْ له

أيَّ سِرٍّ منَ الأسرار

* * * *

ويومًا بعدَ يومْ

صارتْ لُغزًا أبديًا

فعَجزَتْ أيامُهُ عنْ فَهمِها

وعَجزَتْ لياليه

وصارَ كلُّ شيءٍ سيان عندَه

تكسَّرَتْ أصابعُه في شَعرِها

حتى في الظلامْ

جَرَّبَ كُلَّ الألوانِ لِيرسمَ صورتَها

وراحَ يَسألُ عنها

وعن سحرها

كالمجنون

راحَ يسألُ كلَّ شيء... حتى الأحجار

أمَّا هيَ

فلم ترحمْهُ

وبيديها الورديّتين

وبعد أنْ لَبِستْ أساوِرَها

علَّقتْ على الصُّلبانِ

عقَلَه وروحَه وأيامَه

ومَشَتْ عنه وهو يسمعُ صوتَ خلاخِلِها

فحملَ شظاياه

واستعارَ حناجرَ كلِّ شيءٍ في دنياه

وأخذ يستغيثُ ويصيحُ في المدى

وانتظرَ عصورًا

فما عاد إليهِ سوى الصدى

فصارَ وحشًا جريحًا

سَجَنَها معَ روحِهِ خلفَ الجدرانْ

وراحَ يرسم صُوَرَها

على الحيطانْ

على أوراق الشجرْ

على أمواج الشطآنْ

لكن بلا فائدة

وظلَّ يلعنُ القَدَر

* * * *

وأصبحَ لا ينام

إلا على صدرِها...وحتى يسمعُ أساطيرَها

وَهَبَها كلَّ التاريخ

وَوَهَبَها كانَ ياما كانْ

وأعطاها كلَّ قديمِ الزمانْ

* * * *

ولكن لم يرحمْهُ ذلكَ النزيفْ

فصنعَ من جسدِها

أطفالَهُ وأحزانَهُ

وأوهامَه وأحلامَه

فجعلَ منها إلهةً للخصبِ وإلهةً للعطاءْ

وتعلَّمَ لأجلِها الموتَ والقتالْ

وصار إلهًا للفناءْ

لأجلها خاضَ ألفَ حربٍ

وقتلَ الفراشاتِ والطيورْ

وقلعَ أشجارَ الزيتونْ

وكسَّرَ ألعابَ الأطفالْ

وشرِبَ بحارًا من خمورْ

وتكَحَّل بالدماءْ

علّهُ مِنها يستفيقْ

وتعودُ إليه أسماؤه المفقودة

فما استفاق... ولا عادتْ إليه أسماؤه المفقودة

هذه هي قصةُ آدمَ وحوَّاء.

أنا و المَلِكة

صدِّقوني
أيُّها الناسْ
في الأمسِ
ملِكةُ اليمنِ السعيدْ
أدخلتْني قصرَها

* * * *

آه يا ربِّ
كيف؟
كلُّ ملوكِ الأرضِ
يتَمنونَ دخولَهُ

وأنا... أنا المجنونْ

أنا الصعلوكْ

الملكةُ بلقيسْ

أرتني سحرَها

* * * *

البخورُ الهنديُّ البارحةَ... يكلِّمُني

الضوءُ الأصفرُ على الجدرانِ... ضيَّعَني

ثم جاءتني الملكةُ... تمشي

ويمشي معَها كلُّ الوجودْ

وتاجُها... كان شعَرها الأسود

والفضةُ ترقصُ على ثوبِها الأصفر

والمرايا تذوبُ... تذوبُ حولَها

قالت لي :

يا هذا... كيف جِئتَ إلى مملكتي؟

وكيفَ عبرتَ الحدود؟

أنتَ لستَ من حضرموتْ

من أيِّ وادٍ أتيتْ؟

ماذا تريد؟

أريدُ البركةَ... سيدتي

وأسكرَتْني رائحةُ العُودْ

* * * *

وضعَتْ على رأسي كفَّها

وتناثرتِ الحنطةُ على رأسي من يدِها السَّمراء

وحينَ رأيتُ عينيها السُّودْ

صرَخَ قلبي : سبحانَ المعبودْ

مِنْ حِكَم السُّنونو

قالَ لي السُّنونو :

أنا هاجرتُ كثيراً

وعَرفتُ

أَنكَ لنْ تنامَ من كلِّ قلبِكْ

إلاّ في وطنِكْ

ولن تبنيَ بيتًا من كلِّ قلبكْ

إلاّ في وطنِكْ

ولن تُحبَ من كلِّ قلبكْ

إلاّ في وطنِكْ

ولن تموتَ من كلِّ قلبِكْ

إلاّ في وطنِكْ

فلا تعاندْ قلبَكْ

حينما يُحِبُّ وطنَكْ.

قولي لي

قولي لي :

هَلْ أنتِ حُبِّي الأخير؟

أم سيخدَعُني مرةً أخرى

هذا القلبْ؟

* * * *

قولي لي :

هَلّ أنتِ حَجِّي الأخير؟

أم سأبقى بألفِ ذنبٍ وذنبْ؟

* * * *

أحببْتُ قَبلَكِ ألفَ امرأةٍ

ولازلتُ أبحثُ عن حُبِّيَ الأول

إذن... ما هذا الذي كان؟

أليس فيهِ شيءٌ

مِنَ الحُب

* * * *

حمامةٌ أنا... هاجَرتْ ألفَ عامٍ

لا تريدُ مِن شَفَتيكِ سِوى قطرةِ ماءٍ

ولا تريدُ مِن كَفيكِ سِوى حفنةِ حَب

* * * *

تَعِبتُ مِنْ قَلَقلي

تَعِبتُ مِنْ انتظاري

تَعِبت

أنا كلُّ يومٍ أفقدُ عُمرًا

صِرتُ طفلاً

صِرتُ عَدَمًا بِلا أُمٍّ وأب

* * * *

هَلّ حقًا الحبُّ شيءٌ مستحيلْ؟

هَل هوَ حقًا شيءٌ صعبْ؟

* * * *

حينما كنتُ صغيراً

سألتُ كلَّ مَن عَلَّمَني

هَل الحُبُّ شيءٌ صَعب؟

قالوا لي : لا تقلقْ يا فتى

سيقْتُلُكَ مِثلنا هذا السؤالْ

فلا تَعجلْ بخطواتكَ على الدَّربْ.

حينما كانَ الصمتُ مَلِكًا

في ليلةٍ قديمة

قبلَ الأساطيرْ

وحينما كان موجُ البحرِ

مُجرَّدَ فِكرة

وكانتِ النجومُ

تُهدى قلائِدَ للأطفالِ عند الولادة

جاءَ أحدُهمْ من السَّماء

مُرتديًا أجنحةَ الملائكة

وجاءَ معهُ

مَنْ سَرَقَ الصَّمتَ

وأخَذَ مِنَ الناسِ بهاءَ السكوت

وجعلَ الشِّفاه مَهبطًا لموتٍ مُرٍّ

ثُمَ راحَ يُعلِّمُ الأطفالَ الكلامَ الأسوَد

وصارَ الغيمُ يَضحَكُ علينا

وقرَّرَ الابتعادْ... لأنهُ خافَ مِنَ السَّواد

الأشجارُ... والأحجار

أيضًا تَضحك

* * * *

وادَّعَتِ الأصابعُ إنَّها ستَحلُّ المشكلَّه

فكَتَبَتْ شِعرًا

وحاولتِ الشِّفاهُ

فَغَنَّتْ

لكن... لا جدوى

لم تُحَلَّ المشكلَّة

ورُحْنا نبحثُ عن حل

* * * *

وجاءَ صوتٌ من الزمنْ

ونادى :

إنّكمْ تستحقونَ كلَّ هذهِ العذاباتْ

لمْ تعرفوا نعمتي

لأنّكمْ لمْ تَحرسوا الصَّمتْ... عندما كانَ مَلِكًا.

أخبريني

بِرَبَّكِ

أخبريني

كيفَ حطَّمْتِ غُروري؟!

وعِندَ رجليكِ

كيفَ تكسرَتْ أجنحةُ نسوري؟!

* * * *

كيفَ؟!

تَسَلَقْتِ أسواري

وخَضَعتْ لَكِ قلاعي

واسْتَسْلَمَتْ كلَّ قصوري

* * * *

أيتها المحتالة

مِنْ أينَ حَصَلْتِ على المفاتيح؟!

وكيفَ فَتَحْتِ خَزائني ، وأخرجتِ كتابَ يومياتي؟!

وكيف حللتِ طلاسمَ سطوري؟

* * * *

كُنتُ أنا قَبْلَكِ

استثناءً

لُغزًا أبَديًا

كُنتُ مَلِكًا...

طاغيًا...

مُتَكبراً...

يَبدو اسمي حتى في السَّراب

ويُكتَبُ على السَّماءْ

أَصولُ وأَجولُ

ولو شِئتُ لَمَلَكتُ حتى الهواء

* * * *

أحكمُ كيفما أشاء

ولا خَلاصَ مِنْ حُكمي أو رَجاء

وكانتْ مملَكتي قلوبَ النساء

* * * *

لا أذكرُ أَنْ ثارَ ضِدي قَلبُ امرأةٍ

فالتمرُّدُ ضِدي ضَربٌ مِنَ الغباء

فأنا الحبُّ والعِشقُ والكلَّمات

ولمْ يخطرْ بِبالي

أَنْ أُهزَمَ يومًا

أو أُسبى يومًا

وأنسى مَن أنا

وأينَ أنا

وأنسى تاريخي

وأنسى كُلَّ الأسماء

* * * *

كانتْ البحارُ جزءًا مِنْ مملكَتي

وأنا الآن... على شواطئِ عينيكِ

أشلاءٌ مِن صَدَفٍ

عسى موجُكِ يجمعُ هذي الأشلاء

* * * *

صارَ كُلُّ دمي

ثوبَكِ الأحمرْ

فكيف أحيا بِرَبِكِ دونَ دماء؟

* * * *

اسمَعيني

الحبُّ وحدَهُ معَكِ لا يجدي

لكِ حلٌ مِنْ ثلاثة

خذي سكينًا واقتليني

أو أموتَ اختِناقًا عندَ شَفَتَيكِ

أو بِثوبِكِ الأحمرْ... اشنُقيني

معَكِ

ليسَ عِندي حَلٌ آخر

فاعذريني.

السَّجين

أدْخَلْناهُ السِّجنَ
ومعَهُ الشَّيطانُ الذي وهَبْناه
وقلبُهُ الذي أمَتْناه
وأخبرَنْاهُ إنَّهُ مَحضُ شَرٍّ
وإنَّ هذا له نهايةُ الطريق
طريقٌ كلُّنا رسمناه

* * * *

أغلقنا عليهِ بوابةً سوداء
وأعطَيناهُ نافذةً
حتى يتعذَّبُ بالشمسِ ورائحةِ الحياهْ

أعطيناهْ

قُضبانَ صِدئة

سَتُحرَقُ بها كلَّ يومٍ مِعْصَماهْ

* * * *

وأَدْخَلَ معَهُ الصُّوَرْ

ومنديلَ أُمِّهِ الأبيضْ

وقَلَمًا و أوراقًا

ليموتَ عِندَ كلِّ كَلِمةٍ

ويحيا معَ أشباحٍ تراها فقطْ عيناهْ

* * * *

السَّجينُ ليسَ ظالمًا لنا

بلْ نَحنُ مَنْ ظَلَمناهْ.

حينما غَضِبَ المِلْح

بَلَدِي

كَمْ عَجيبٌ أنتَ مِنْ بَلَدْ!

كيفَ تَرَكتَ المِلحَ يخرجُ مِنْ تُرابِكْ

كيفَ تَرَكتَهُ يرحلْ؟

وأنتُمْ أيُّها الناسْ

هكذا... لَمْ يوقِفْهُ مِنكُمْ أحدْ!

* * * *

أحَسِبتمْ المِلحَ لا يغضَبْ

لقد قالَ لَكمْ الأنبياء :

إنَّ أُمةً لا تبكي

ولا تَخلُطُ مِلحَها بدموعِها

مِلحُها... مِنْ بُرودِها يتعبْ

* * * *

لِماذا احتَقَرتمَوهْ ؟!

لِماذا كَرِهتموهْ

كأنَّهُ ليسَ مِن عِظامِكُمْ

أعجَبُ مِن أُناسٍ يكرَهونَ مِلحَهُمْ

لا يخافونَ عَليهِ الشَّمسَ والماءَ والهواءْ

كَأَنهُ أخرُ هَمِّهمْ

أجيبوني؟

كيفْ سَتَعيشونَ يومَكُمْ

دونَ مِلحِكُمْ ؟

كيفْ ستأكلَّونَ الطعامْ

وكيفْ سَتَنْبُتُ أجسادُكُمْ وأجسادُ أطفالِكمْ

دونَ مِلحِكُمْ؟

وكيفْ سيرتاحُ الموتى في قُبورِكُمْ؟

كيفْ سَتَبْنونَ أعتابَ بيوتِكُمْ

دونَ مِلحِكُمْ؟

* * * *

أعجبُ مِن أُمةٍ لا تَعرِفُ قيمَةَ مِلحِها

مِن أُمةٍ لا تَعرِفُ قيمَةَ مِلحِها... لا فائدة

كأنَّهُ لَمْ يأتِ مِن عَرَقِ أجْدادِها... ودِماءِ أولادِها

سيأتي الماءُ والطوفانُ مرتاحًا الآنْ

سَيُغَطِّي كيفما يشاءُ الحقولْ

وهوَ مَن كانَ يَحْسِبُ ألفَ حسابٍ

لِقَطرَةِ عَرَقٍ واحدة.

موعدٌ عِنْدَ الغُروب

التَقيتُ بِكِ قَبْلَ أنْ تَغرُبَ الشَّمسْ
ولأنَّكِ تُحبِّينَ أُمَّكِ
فأنتِ أيضًا تُحبِّينَ الشَّمْس
لَمْ تُريدي أنْ تكوني جَميلةً جدًا
حتى لا تُحرِجي الشَّمسْ
كانَ كلَّامُكِ جميلاً... أخَذَني إلى أماكِنَ بَعيدة
ولكنْ... بعدَ الغُروب
خَرَجَ جَمالُكِ ولمْ تَسْتطيعي حَبْسَهُ
أصبَحْتِ إنسانةً أخرى

وأنتِ أيتُها المُحتالة... أحسَستِ بِذلكْ

فأرَدْتِ الهروبَ مِني

فإذا بِكِ تَهرُبينَ إليَّ

كانَ جَمالُكِ يدورُ في المكانِ

وأنتِ تلاحقينه

ولكنْ... بِلا جدوى

كانَتْ أَضواءُ المدينةِ تَنْعَكِسُ على عينيكِ العسَليتينْ

فَضَحَتْني عَيناي

كُنتُ أُريدُ أنْ آخُذَكِ تحتَ إحْدى شُجيراتِ الزيتونْ

تحتَ المقهى وأقْطُفُ تُفاحَةَ الجَّنةِ... مِنْ شَفَتَيكِ

ولا يَهُمُّني أنيِّ سوفَ أنزِلُ إلى الأرضِ بعدَ ذلكْ

كُلُّ نُجومِ المساء... تَجَمَّعَتْ حولَ شَفَتيكِ

وكُنْتِ عِنْدِما تَتَكلَّمينْ...

يَطيرُ غُبارُ الضوءِ في المكانْ

جيدٌ أنيّ تَجرَّأْتُ و سَرَقتُ قُبلةً مِن يَدَيكِ

فأنا الآنَ أغنى سارقٍ في هذا العالَمْ

شكرًا لأنكِ أتيتِ

وشكرًا أيَّتُها الشَمسُ لأنكِ شهدتِ.

قِطارٌ ... و شَفَتَانِ

القِطارُ سارَ معَ الغُروبْ
جَلَسَتْ بِقُربي
والأضواءْ
بدأتْ تَنْزِلُ
مِنَ السَّماءْ
على وجْهِها
مَهلاً... أرجوكِ أيتُها السماء
مَهلاً
فأنا في عِلمِ الجمال

كلُّ يومٍ
أزيدُ جَهلاً

* * * *

جَمالُها كانَ صَمْتًا
وكلُّ شيءٍ حولي
يقولُ لي:
حَدّثْها
كَلِّمْها
وأنا نَسيتُ كيفَ يتكلَّمُ الناس
أو كأَنيِّ لَم أكلِّمْ بَشَرًا قَبْلاً

* * * *

كَلَّمْتُها

تكلَّمَتْ خَجَلاً

لَحظةً... أرجوكِ

الفرقُ بينَ صمتِكِ وكلامِك

ليسَ سَهْلاً

بينَ صوتِكِ

وهَمسِكِ الخائِفِ مِنَ الصوتْ

ليسَ سهلاً

إنَّهُ كالفرقِ بينَ الماءِ والنارْ

كالفرقِ بينَ الربيعِ والخريفْ

كالفرقِ بينَ...

الحياةِ

والموتْ

حياتي أنا

ومَوتي أنا

* * * *

تمَهَّلي لأنكِ اختَصَرْتِ عُمْرًا بِساعاتْ

والكلِّماتُ بينَ شَفَتيكِ

تُساوي عُمرًا

لو كُنتُ أستَطيعْ

لَعِشتُ بينَ شَفَتيكِ

لَنِمْتُ كالطِّفلِ بينَ شَفَتيكِ

لأصبحتُ مغامِرًا خائِفًا يكتَشِفُ بِعُمرِهِ كُلِّهِ شَفَتيكِ

* * * *

لا تَخبِريني عَن اسمِكِ

الأسماءُ مُؤلمة

وليسَ هُناكَ اِسْمٌ يَسْتَحقُ

أنْ يكونَ اسمَكِ

ليسَ هُناكَ اسمٌ

يسْتَحِقُ أنْ تلفظَهُ شَفَتيكِ

على الأقل

دَعيني ألمَسُ شَفَتيكِ

قَبلَ أنْ يَسيرَ العالمُ حولي مِن جَديد

قَبلَ أنْ يَتَوقَفَ القِطار

ونَعودَ إلى الأرصِفَة

وأُصافِحَ يديكِ

ومِثْلُ باقي البَشر

تقولين : هذا اسمي

أو تقولين : هذا رَقمي.

وَسَطَ المَدينة

لأنَّ لي قَدَمينِ
أكثرُ مني مجنونتين
تَخافُ الموتَ إذا وَقَفَتْ
أُحِبُّ أنْ أسيرَ في الطُرُقاتِ
وأبْحثُ عَنْ الهاربينَ
مِنْ عُيونِ آبائِهِمْ
ومِنْ حَنانِ الأمهاتِ
أُحِبُّ السيرَ إلى وَسَطِ المَدينة
لأسرقَ الماضيَ مِنَ الشُّرُفاتِ

وأبْحَثَ عَنْ قَدَحِ شاي
في الأفْرُعِ المُعتَّـقَةِ والمتاهاتِ

* * * *

لأنَّ لي أُذُنَين
تَبحثُ دائمًا عَنْ الهَمسِ
ألمَسُ حيطانَ سمراءَ بعيوني
وأمشي على أرصِفةٍ مُحَرَّمةٍ عَليها الشمسُ
عَلِّي أسمَعُ شيئًا مِنْ أحاديثَ
سَرَقَتْها لي هذهِ الحِيطانُ بالأمس

* * * *

أُحِبُّ سَماعَ أَصواتِ البائعين
الأَجَشُّ مِنهُ والحَزين

أرواحُهمْ وخَوفُهُمْ وأرزاقُهُمْ

كلُّها تُنادي مَعَ أصواتِهِم

* * * *

آهٍ يا وَسَطَ المَدينة

هَل يومًا سارَ أبي هُنا

في هذا الطريق؟

أو في ذلكَ الزُّقاق؟

لا أعرف

وأينَ كُنتُ أنا!؟

* * * *

بالرغمِ مِن زِحامِكَ بالناس

كُلُّكَ غُرْبَةٌ وخَوف

إياكَ يا وَسَطَ المَدينة
أنْ تَحكيَ لي عَن أيِّ شيءٍ
دَعني فَقَط أَتيْهُ فيكَ بأسئلتي
فَقَصَصُكَ كُلُّها حَزينة

* * * *

كلَّ الطُرُقِ فيكَ لَها نِهاية
وعِندَها ألفُ حِكايَةٍ وحِكاية
أسألُكَ يا وسطَ المدينة
مَن بَنى هذهِ الأحجار؟
وأوْدَعَها كلَّ هذهِ الأسرار
هذهِ الملابِسُ المُعلَّقَةِ كالأشباحِ المَحبوسة
سأجمَعُ مالاً لأشترَيَها وأطلُقُ سَراحَها

* * * *

أرى على الأرصِفَةِ
أيامَ الناسِ المُتَناثِرة
كَم مِن عَجوزٍ تَرَكَ سنينَه هُنا وذَهَب
أسمَعُهُ يصرُخُ في أذُني
"إياكمْ أنْ تمَسُّوا هذهِ الأشياء"

* * * *

يا وسَطَ المدينة
متى هذهِ الأبنيةُ ترتاح؟
إنَّها تَعمَلُ واقِفَةً كلَّ مَساءٍ و صَباحْ
هذهِ الأبنيةُ أيضًا تَشيخ
متى تَستَطيعُ النَّوم؟
ومِن وقوفِها تَستَرِيح

* * * *

هذهِ العيونُ... المُلتَصِقَةُ عَلى الجُدران

أَمَا آنَ لَها أنْ تَنضَجَ مِن خوفِها؟

وتَسقُطُ كالتينِ الجاف

بأَمان

* * * *

هَل أستطيعُ أنْ أحسِبَ الأنفاس؟

التي دارتْ في هذا السَّديم

كَم قصَّةٌ سِمعَتْ هذهِ الأرصِفة؟

كَم مرةً يا تُرى أيتُها المآذِنُ سَمِعْتِ صوتَ الأذان؟

كَم حبيبٌ اشْترى ثوبَ عُرسٍ مِن هُنا؟

ومَرَّتْ جَنازتُه مِن هُنا

* * * *

الأيامُ تَذهَبُ... يومًا بعدَ يوم

تُلقِي ظِلَّها... وتَرتاح

والأماكنُ كُتِبَ عَليها أنْ لا تَستريح

* * * *

قُلْ لي أيُّها القَلبُ الكَبير

هَل أنتَ مُرتاح؟... يا وَسَطَ المدينة

لأنَّكَ ضَحَّيْتَ بوجودِكَ... لأجلِ كلِّ هؤلاء

أم إنَّكَ تَلْعَنُ أيامَكَ الحزينة ؟

عِطرُكِ

البارحة

حينَ تَرَكْتِني

بَقيَ مَعي عِطرُكِ

وبَقيَ معي سِحرُكِ

وبَقيتُ بعدَكِ

أسألُ نفسي:

أهذا عِطرٌ أم جَمر؟

* * * *

هَلْ تَعلَمين؟

إني اكتَشَفْتُ

هُناكَ عِطرًا

لِشَفَتيكِ

هُناكَ عِطرًا

ليَديكِ

هُناكَ عِطرًا

لرَقَبَتِكِ

حتى هُناكَ عِطْرٌ لِعينيكِ

* * * *

كلُّها حَوْلي

بينَ أصابِعِ يدي

في أنفاسي

وبينَ شَفَتيَّ

* * * *

سِحرٌ غَريبٌ عِطرُكِ

ليسَ بُخورًا هنديًا

وليسَ مثلَ زهرةِ كولونيا

وليس كأريجِ الليلك

* * * *

أخافُ عليكِ

وأخافُ على عِطرِك

من الهواء

أخافُ عليه من الماء

كأنَّه عصفورٌ خائفٌ دخَلَ غرفتي

يطيرُ حولي في كلِّ الأرجاء

* * * *

لا أعرفُ

أَعِطْرُكِ يبحثُ عني؟

أم أنا أَبحثُ عنه؟

أهوَ يهربُ مني؟

أم أنا مَنْ أهرب منه؟

* * * *

كم هو جائرٌ عِطْرُكِ

عِطرُكِ يُخيفُني

يُحرقُني

ساعديني

وارحميني

فأنا أحترَقُ كلَّما يَلُفُّني عِطرُكِ.

أنتِ أخرُ الثورات

أنتِ أولُ مَنْ عَلَّمَ قلبي التمرُّدَ
ونصحتِهِ أنْ يلتحقَ بالثوار
عَلَّمَتْ شفتاكِ قلبي
كيف يلغمُ الطرقات
وعلَّمَتْهُ عيناكِ
كيف يُفجِّرُ الثكنات

* * * *

أنت من جَنَّدَ قلبي
وهو الآنَ مع الأحرار

سمِعْتُ أَنهم سلَّموه القيادة

واسمُهُ الآنَ يملأُ الأَخبار

* * * *

وأنهم عن قريبٍ جدًا

سينزلونَ من الجبالِ

وسيخرقون وقفَ إطلاقِ النار

* * * *

سيبدأونَ في حبِّك

ثورةَ المساكين

سيُحرِّرونَ العصافيرَ والرياحين

وسيكون دخانُ حربِهِم

عطرَ الياسمين

وسيُطلقون من السُّجونِ

كلَّ رموزِ المعارضة

القلائدَ الدافئةَ بالشفاه

أمواجَ البحرِ الشَّفافَة

وعينيكِ

الغيمَ الورديَّ الذي يُسقى بالرضاب

وشَفَتيَّ

ورودَ النارِ التي لا تحرِقُ الفراشات

وأصابعي

وكلَّ المعارضين

من اليسارِ واليمين

* * * *

وأخيراً سيرفعُ هؤلاءِ المظلومون

راياتِ العشقِ

فوقَ قصورِ الدكتاتور

في وَضَحِ النهار

* * * *

وسيقودُ قلبي كتائبَ التحرير

الى بيتِكِ الأبيض

وإنَّ وجهَ الأرضِ الى الأبدِ سيتغير

وستتحدُ الأممُ من جديد

تحت ظلالِ شَعْرِكِ الذهبيِ

هذا وعدُ الأحرار

* * * *

إنَّ حُبَّكِ ايتُها الأبيّة

سيكونُ أولَ ثورةٍ شعبيةٍ حقيقيّة

بلا تَدَخّلٍ من قوةٍ أجنبيّة

ولن تقِفَ أمامَهُ لا رأسماليةٌ ولا شيوعيَّة

* * * *

أنتِ أوْلُ مَن قالَ لقلبي

إنَّ في الحبِّ

لا جدوى من الأحزابِ والسياسة

وبينَ الحكومةِ والمعارضة

لن تنفعَ لقاءاتٌ أو حوار

* * * *

وأنتِ مَنْ علَّمني

أنْ لا أخافَ من أيِّ طابورٍ خامس

فالحبُّ سيبقى سرَّ الأسرار

* * * *

وعندما يقفُ قلبي

في ساحةِ قلبِكِ الحمراء

مع كلِّ الجياعِ والمحرومين

يُلَوِّحون بأعلامِهِم المُضرَّجةِ بالدماء

ويهتفون لحياتِكِ

بشفاهِهِم الأرجوانيّة

يُصفقون بألم

وتدوِّي الصَّرخات

يسألونكِ

بلا تردُّدٍ أو مَلَل

يرجونكِ يا سيدةَ التاريخ

أنْ تقرأي القَسَم

* * * *

أخيراً يا حبيبتي جاءَ وقتُكِ

وسيبدأُ عهدُكِ

وعندما تحكمينَ

ومن أوّلِ يومٍ أرجوكِ

حلِّيْ البرلمان

وصادري الحُريّات

وأغلقي كلَّ الصُّحُفِ والإذاعات

فعندي

أعلى قيمِ الحريّة

أنْ تكونَ معي امرأتي

في قمَّةِ الدكتاتوريّة.

خائفةٌ أنتِ

كمْ مرَّة

قلتِ إنَّك تحبينني؟

ولا مرَّة

كأنَّ الكلِّمةَ في لسانِكِ جَمْرَة

كم مرَّة

قلتِ لي أنتِ تريدينني؟

ولا مرَّة

* * * *

وأنا أنتظر

ويقطرُ ندى روحي

قطرةً قطرة

والعمرُ يذبلُ

زهرةً وراءَ زهرة

فقدْتُ ملامحَ وجهي

تاهتْ خُطواتي

تعِبْتُ من طريقي

جمدتْ شرايين يدي

وماتتْ أصابعي العشرة

* * * *

قولي لي بِربِّكِ

ألْم تأتِكِ

أبدًا

هذه الفكرة؟

* * * *

مِمَّ تخافين؟

وهلْ عن جريمةٍ تبوحين؟

فالحبُّ عنَد اللهِ مُباح

وهو كالماءِ القراح

لماذا لا تنادين

في وَسَطِ الأسواق

في يومِ الجمعةِ

وعند الصباح

أنيّ أُحِبُّه

* * * *

ويحكِ

امسكي قيثارة

وغَنّي باسمِي

بأيِّ لَحنٍ تريدين

من ماذا تخافين... أنْ يقولوا عنا مَجانين؟

الدنيا مليئةٌ بهم

العقلاءُ ليسوا سوى أسطورة

والمجانينُ هم العاقلون

* * * *

قفي في وَسَطِ البرلمانِ وقولي أُحِبُّه

قولي أيَّ شيء

قولي أكرَهُه

* * * *

مِنْ ماذا تخافين

فليس الخوفُ عمودَ الدين

إنما الحبُّ هو ربُّ العالمين

* * * *

أسألُك

كيف ستُصْبِحين؟

سيدةَ العاشقاتِ وأنتِ من كلِّمةِ أُحِبُّه

تخافين؟!

بلـوغ رجـل

عرفتُ

الآنَ أنا... عرفتُ

أني قبلَكِ

كنتُ طفلاً

وكمْ لعِبْتُ

وكانتِ النساءُ لُعبتي

وبعدَكِ

مِن كلِّ ألعابي مَلَلْتُ

* * * *

فَشَلَ كلُّ مَنْ أرادَ تعليمي

ومِنْ كلِّ المدارسِ هَرَبْتُ

وكنتُ جاهِلاً نَزِقًا

وفي كلِّ الصفوفِ رَسَبْتُ

في عالمي

في سجني

أنا الشَّرُّ

وفي غرفتي

التي جدرانُها من الخوفِ

كمْ بكيت

* * * *

قبْلَكِ لم يجرؤ أنْ يعرفَني إنسانٌ

وأنا لنفسي ما عَرَفْتُ

* * * *

أيتُها الأنثى الوحيدةُ في عالمِ النساء

أنتِ نَجَحْتِ

بلمسةٍ من أصابعِكِ

أنْ تؤدِّبي قلبي

أنْ تجعليني رجلاً

ولولاكِ لعالمِ الرجالِ ما دخلت

أكبرُ أخطاءِ البشر

حين رأيتُكِ

عرفتُ

أنَّ الناسَ

ومنذُ أقدمِ العصور

ومئاتِ الأجيالِ

ارتكبوا خطأً فادحًا

وأنَّ عليهم أنْ يعيدوا

تعريفَ الجمال

* * * *

عليهم أنْ يكتبوا

مِنْ جديد

كلَّ الأساطير

وقصصِ الفُرسانِ

ويضعوكِ أميرةً وحيدة

لكلِّ حكايا الأطفال

* * * *

وعليهم أنْ يعيدوا كتابةَ التاريخ

من وحي شَفتيكِ

وعليهم أنْ يغيروا عند عينيك

كتبَ الأَمثال

* * * *

وتأتيكِ كلُّ مَنْ ادَّعتْ
أنَّها آيةٌ للجمالِ والحب
وتنثرُ شَعرَها عند أعتابِكِ
وتعترفُ أنَّ الوصولَ إليكِ
شيءٌ مُحال

* * * *

وستُشرِقُ الشُّموسُ
من بينِ أصابِعكِ
وتغفو النجومُ
فوقُ شَعرِكِ الأسود
وعلى خدَّكِ الذهبي
سترتاحُ حَبَّاتُ الرمال

* * * *

على كلِّ الشعراء

أنْ يُعلنوا توبتَهم

ويَنسوا شِعرَهم ولغتَهم

ويدخلوا من جديد

عالمَ الخيال

* * * *

ستبحثُ عن صورِكِ

الحيطانُ

دفاتُر الأطفالِ

والمرايا

ولو غابَ عِطرُكِ

عن الدنيا

ستتيه

أنهارُ الجنوب

ورياحُ الشمال

* * * *

أسماءُ الأشياءِ

لابد من تَغيرُّها

وتُعطَى أسماء

من حروفِ اسمِكِ

أسماءَ المُدُنِ

والنجومِ

والبحارِ

والجبال

وعندها سيكونُ الناسُ ثلاثةَ أصناف

أنتِ

والنساء

والرجال.

علمتِني

بِدائيٌّ وهَمَجيٌّ أنا
تلميذٌ بليدٌ أنا
عَلَّمتِني
أنَّ الحياةَ ليستْ عمرًا مَديدًا
أخيراً تعلَّمتُ
أنَّ هناك في العمر
من كلِّ العمر
لحظاتٍ
سرقناها من أوهامِنا

سرقناها من تاريخ أقدارِنا

سرقناها من موتِنا اليومي

سرقناها من حياتِنا

لحظات

ربما لأجلِها

خُلِقْنا

وُلِدْنا وَحَبَونا

مشِينا وكبُرْنا

ضحِكنْا وبكِينا

سَعِدْنا وندمْنا

ولأجلِها تَعلَّمْنا

كلَّ شيءٍ... لأجلِ لحظات

* * * *

تَعَلَّمْتُ منكِ

كيف تصيرُ اللحظاتُ كَلِماتٍ

كَلِماتٍ بلا وطنٍ ولا زَمَن

بلا لونٍ أو كَفَن

بلا غُرَفٍ أو مُدُن

وتُصْبِحُ أيامُ العُمرِ حروفًا وأوراقًا وكتابات

أيامي يا مُعلِّمتي كانت تموتُ كلَّ يوم

وسنيني كانت تموتُ كلَّ عام

* * * *

شكرًا

لأنَّكِ

أعطيتِني عُمرًا كاملاً

أجملَ عُمرٍ

للحظات.

رسالةٌ إلى حُبِّي الأول

أتذكرين؟

منذ البداية

قلتُ لكِ:

اتركي ثيابَكِ

وكُتُبَ التاريخ

واجلُبي شالَكِ الأسودَ

وتعالَي

* * * *

تمرَّدي

واتركي اسمَ أبيكِ

بلا خوفٍ

ولا تبالي

* * * *

قلتُ لكِ:

تَعلَّمي من العصافير

كيف تُحِبُّ

تعلَّمي منها

كيف تطيرُ

فالعصافيرُ تعرِفُ البُكاء

لكنْ لا وقتَ عندها للبكاء

إنّها تفكرُ فقط بدفءِ عشِّها في الشتاء

* * * *

سيدتي

بالرغمِ من أَنيّ لا أعرفُ

أين أنتِ؟

وأين أصبحتِ؟

فوقَ أيِّ أرضٍ

أو تحتَ أيِّ سماء

لكنّي أُريدُ أنْ أقولَ لكِ

لو سمحتِ

إنيّ وبعدَ خمسينَ عامًا مِن حُبِّكِ

كنتُ بمنتهى الغَباء

وبعدَ خمسينَ عامًا من الغرور

عرفتُ

ليس كلُّ الطيور

تعرفُ الغناء

* * * *

عرفتُ

أنَّ الحبَّ قَدَر

لكنْ ليسَ لكلِّ الرجال

وعرفتُ

أنَّ الحبَّ فنٌّ

لا تعرفُهُ كلُّ النساء

* * * *

وعرفتُ

ليست كلُّ العيونِ

يُعطيها الغروبُ الحياة

وليسَ عند كلِّ صباح

تعرفُ كلُّ القلوبِ الصلاة

وليس كلُّ الناسِ

يعرفونَ الطريقَ المختصر

إلى القمر

وعرفتُ

أنْ ليس كلُّ الرياحِ

تعرفُ العزفَ على أوراقِ الشجر

* * * *

أعذريني

لأني طلبتُ منكِ

أنْ تجمَعي لي قصائدَ الحُبِّ

من كلِّ لغاتِ العالم

ومن عهدِ آدم

وتفسِّريها لي بلغةِ الأطفال

* * * *

كم كنتُ غبيًا

من نواميسِ الوجود

إذا أحَبَّ العظماءُ

صاروا نسيًا منسيًّا.

إليكِ عزيزتي

اسمعيني

وأنتِ تعرفين

أنَّ جميعَ الرجالِ في الحُبِّ يكذبون

لكنْ هذه المرَّة

أرجوكِ

أرجوكِ

صدقيني

* * * *

أنا مُذْ عرفتُ...

أنكِ في هذه الدنيا

لم يَعُدْ أيُّ شيءٍ حولي يَعنيني

توقفَ الزمنُ من حولي

لم تَعُدْ يداي تطيُعني

تبحثُ عنكِ كالمجنونة

في الأشياءِ حولي

بين أوراقي

وبين ملابسي

بعدَ حُبِّكِ

لم أَعُدْ أخشى الموتَ

صدقيني

لم أَعُدْ أخشى الناسَ

ولم يَعُدْ شيئًا يعنيني

* * * *

لم أَعُدْ أخشى الأشياء

لم أَعُدْ أخافُ الموت

ابقي معي

أو اتركيني

فالأمرانِ سيَّانَ عندي

فأنا يكفيني

أنَّكِ أنتِ

أيتُها العجيبة

أيتُها الغريبة

أيتُها المستحيلة

يا ابنةَ الشمس

قُلتِ لي مرَّةً

إنَّكِ تُحبيني.

تعب

مملكةُ الجمالِ التي فيكِ
أتعبَتْني
عيناكِ التي ضحِكتْ ودمِعتْ
أتعبَتْني

* * * *

سألتُ نفسي كم نحلةُ عسلٍ من الجنة
تعِبَتْ لِتصنعَ عينيكِ العسليّة
وكم حبةُ توتٍ ذابتْ في شفتيكِ الورديّة

* * * *

يداكِ التي مسكَتْ المنديل

أدهشتْني... وكم حسَدْتُ المنديلَ

* * * *

أصابعُكِ كأنَّها أغصانٌ من شجرِ الفِردَوس

وَدَدْتُ تقبيلَها إصبعًا إصبعًا

وأنامُ بحضنِ كفِّكِ

* * * *

والخاتمُ لم يكن خاتمًا

كأنَّ نجومًا هربَتْ من السماء

وارتاحَتْ فوقَ أصابِعِكِ

هكذا صار على أصابِعِكِ بُرجُ الجوزاء

* * * *

خدُّكِ الذي لمعتْ عليه الشمسُ

وتناثَرتْ منه رمالُ الجنةِ الذهبيّة

* * * *

هناك تفسيرٌ واحدٌ فقط لوجودِكِ

إنَّ اللهَ أرادَ أنْ يجعلَ الأرضَ أجمل

فأرسَلَكِ لها

أيتُها الحوريّة.

نامي على صدري

تعِبةٌ أنتِ
إذَن اليومَ أنتِ آمنة
من عالمي المجنون
فنامي على صدري
واغرقي
كما تغرقُ الماسةُ في بحرٍ من السكون
وانسي كلَّ شيءٍ حولَكِ
الأصواتِ
الأضواءَ

والعيون

وحينما يعرفُ قلبي أنَّكِ هنا

سيأتيكِ

ويُكسِّرُ أضلُعِي

ضلعًا... ضِلْعا

كثائرٍ هاربٍ من السجون.

وصفٌ

أنتِ
شمسٌ تعبثُ بشَعري
وأنتِ
جنةٌ أُقبِّلُها
معكِ
أيامي
خيوطُ حرير
أناملُ دُرِّيَّةٌ تغزِلُها
وأحيا في قصرٍ من الجنان

لو لفَّني عِطْرُكِ

يسارُكِ تنثرُني ألفَ نجمةٍ

ويمينُكِ تجمعُها

لضحكتِكِ رنَّة

كلُّ الأكوانِ تسمعُها

سبحانَكَ ربيِّ

كيف جمعْتَ

في وَجْهِها

كلَّ السماواتِ من الأولى لسابعتها.

آهٍ أيُّها القلبُ

أشكوها لك أيُّها القلبُ

هل رأيتَ أصابعَ يديها

هل رأيتَ تلك الأصابعَ قُربَ شَفتيها ؟

* * * *

آهٍ أيُّها القلبُ

هل رأيتَ مِثلي أصابعَها السمراءَ

خلفَ ستارةِ الحريرِ الأبيض

هل رأيتَ تلك الأصابعَ

نائمةً مع شَعرِها

فوقَ وسادةٍ بلونِ السماء

والوسادةُ تخافُ تلك الأصابعَ أنْ تنهضَ ؟

* * * *

أصابعُ

تنثرُ

القمحَ

والحليبَ

والعسلَ

أصابعُ لو مرَّتْ

على صفحاتِ الكتبِ

لَجعلَتْها كُتُبًا لأشعارِ الغزل.

دَعي عنكِ الأسئلة

حبيبتي

هل تعرفين

في حبِّنا... ما هي المشكلَّة؟

سأقولُ لكِ:

إنَّ علينا أنْ نُجيبَ على الكثيرِ من الأسئلة

مَن أنتِ؟

مَن أنا؟

مِن أين أنتِ؟

مِن أين أنا؟

وماذا سيحدثُ لنا؟

اليومَ... غدًا

في السنةِ المقبلة

كيف أُجيبُ على كلِّ هذه الأسئلةِ الحائرة؟

لا تخافي... هذا جوابي

لأنَّ أيَّ جوابٍ آخرَ

عندي مُعضِلة

فأنا الآنَ لا أعرفُ سوى ثلاثِ كلَّمات

وهي العالمُ عندي

شَعرُكِ

عيناكِ

والشِّفاه القاتلة.

هي وهو والخريف

جاء الخريفُ

وهي وحيدة

وليست لِلَيلِ الخريفِ مستعدة

وجاءت مع ليلِ الخريفِ

الذكرياتُ العنيدة

* * * *

اشتاقتْ لخيالاتِهِ

على الأرصفةِ والطرقات

أهذا ندى يديه...

على الأعشابِ الجامدة؟

أم ذلك لمعانُ عينيهِ...

مع الأضواءِ الشاردة؟

أسألُكَ أيُّها النهرُ

وأنت أيُّها الجسرُ

أخطواتي عنه تُبعدُني...

أم خطواتي إليه عائدة؟

* * * *

صفراءَ كانت أوراقُ الشجر

تلاحقُ خطواتِها قطراتٌ من مطر

كأنَّها أيقظتِ الريح الباردة

ماذا تجيبُ

لو سألوا عنه

أحجارَ الرصيف

وفوانيسَ الطريق

والمقاعدَ الرطبةَ الهامدة

* * * *

كنّا نمشي معًا

لا يهمُنا مكانٌ أو زَمَن

ذهبَ وكأنَّه كان خيالاً

حقًا... ذهب؟

كانت يداه بيدي

وعيناه كانت لي وطَن

* * * *

ضبابٌ خافِتٌ حولَنا

يلحقُنا نسيمُ الياسمين

الأبنيةُ هنا

ليس فيها سوى المُتعبين

وأنا معه أميرةٌ سعيدة

أميرةٌ على كلِّ العاشقين

* * * *

شكوتُ لكَ أيها الخريف وجعي

أرجوك أيها الخريف... متى من وجعي أفيق؟

خيالٌ جاءَ

من أخرِ ضوءٍ في الطَّريق

كأنّه هو

وشَبَّ في قلبِها حَريق

إنه هو جاء في نفس الوقت

بعدنا...لكن قلوبنا ظلت معًا

قال لها :

أرجوكِ سامحيني

فلن يسامحني الخريف

إذا غادرتُ عينيكِ ولم أمسك لكِ يدا.

فهرس القصائد

١. معاناةٌ في كلِّ يومْ ٧
٢. شروطٌ مُسَبّقة ٩
٣. رجاء وعلاء ١٧
٤. مساكيـــن ٢٤
٥. لابدَّ أنَّ هناكَ ؛ أنتِ ٢٧
٦. امرأة ليستْ كالنساءْ ٣٢
٧. في موعدنا الأول ٣٨
٨. سألتُ مدينتي ٤١
٩. آدم و حـــواء ٤٦
١٠. أنا والملِكة ٥٣
١١. من حِكَمِ السُّنونو ٥٦
١٢. قولي لي ٥٨
١٣. حينما كانَ الصمتُ مَلِكًا ٦٢
١٤. أَخبريني ٦٥
١٥. السَّجين ٧١
١٦. حينما غَضِبَ المِلْح ٧٣

١٧. موعدٌ عِنْدَ الغُروبْ ٧٧
١٨. قِطارٌ و شَفَتان ٨٠
١٩. وَسَطَ المَدينة ٨٦
٢٠. عِطــرُكِ ٩٣
٢١. أنتِ آخرُ الثورات ٩٨
٢٢. خائفةٌ أنتِ ١٠٦
٢٣. بلــوغ رجــل ١١١
٢٤. أ كبرُ أخطاءِ البشر ١١٤
٢٥. علمتِنـــي ١٢٠
٢٦. رسالةٌ إلى حبِّي الأول ١٢٤
٢٧. إليكِ عزيزتي ١٣٠
٢٨. تــعــب ١٣٤
٢٩. نامي على صدري ١٣٧
٣٠. وصــف ١٣٩
٣١. آه أيُّها القلبُ ١٤١
٣٢. دَعي عنكِ الأسئلة ١٤٣
٣٣. هي وهو والخريف ١٤٥

(+2) 01288890065

www.shams-group.net